مقتطفات من كلمة الرئيس أوباما في مراسم تأبين ضباط الشرطة الذين قُتلوا في دالاس

البيت الأبيض

مكتب السكرتير الصحفي

دالاس، تكساس

12 تموز/يوليو 2016

مقتطفات من كلمة الرئيس

في مراسم تأبين ضباط الشرطة الذين قُتلوا في دالاس

مركز مورتون إتش ميرسون السيمفوني

يخبرنا الكتاب المقدس بأن في معاناتنا يتجسد المجد، لأننا نعلم أن المعاناة تُنتج الصلابة؛ الصلابة، تقوي الشخصية؛ والشخصية، تجسد الأمل. في بعض الأحيان من الصعب أن نرى حقيقة هذه الكلمات. أما الآن، فإن تلك الكلمات بمثابة اختبار لنا. نظرًا لأن أهالي دالاس، وأبناء الشعب في جميع أنحاء البلاد، يعانون. نحن موجودون هنا لنكرّم ذكرى، وننعي فقدان، خمسة من إخواننا الأميركيين–ونشاطر أهلهم وأحباءهم وذويهم الحزن والأسى، ولدعم أبناء هذا المجتمع، وللصلاة والدعاء من أجل الجرحى، ونحاول أن نجد بعض المعنى وسط كل هذا الحزن والأسى.

* * * *

كغيرهم من ضباط الشرطة في عموم البلاد، اشترك هؤلاء الرجال وأسرهم في الالتزام بشيء أكبر وأعظم من أنفسهم. لم يكونوا يبحثون عن أن تكون أسماؤهم مشهورة أو أن تُسلّط عليها الأضواء. وكانوا يقولون إن الأجر لا بأس به ولكنه لا يجعلنا أغنياء. كان من الممكن أن يخبروكم عمّا يعانونه من الإجهاد في فترات العمل الطويلة، ولعلهم يتفقون مع رئيس الشرطة براون عندما قال إن رجال الشرطة لا يتوقعون سماع عبارة "شكرًا" في كثير من الأحيان، خاصة من أولئك الذين يكونون في أشد الحاجة إليهم.

* * * *

كلا، إنما تأتي المكافأة من إدراك ومعرفة أن طريقة حياتنا كلها في أميركا تعتمد على سيادة القانون؛ وأن الحفاظ على تطبيق هذا القانون يتطلب عملًا يوميًا شاقًا ومضنيًا؛ ففي هذا البلد، لا يوجد لدينا جنود يجوبون الشوارع أو ميليشيات تضع القواعد والقوانين. إنما لدينا، موظفون وعاملون عموميون –ضباط شرطة– أمثال الرجال الذين انتُزعوا من بيننا.

* * * *

إنني أعلم أن الأميركيين يعانون في الوقت الراهن مما شهدناه الأسبوع الماضي. أولا، إطلاق النار في ولاية مينيسوتا وباتون روج، والاحتجاجات، ثم استهداف ضباط الشرطة من مطلق النار هنا– وهو فعل لا يشكل فقط عنفًا مجنونًا ولكنه ينم عن كراهية عنصرية. كل هذا قد سبب لنا جرحًا عميقًا جعلنا نشعر بالغضب وألحق بنا الأذى. إنها كما لو كانت خطوط الصدع العميق في ديمقراطيتنا قد انكشفت فجأة، ولربما اتسعت. وعلى الرغم من أننا نعرف أن هذه الانقسامات ليست جديدة–على الرغم من أنه كانت هناك بالتأكيد أسوأ منها حتى في الماضي القريب–الأمر الذي يجعلنا نشعر بالراحة بعض الشيء.

* * * *

وفي مواجهة هذا العنف، فإننا نتساءل ما إذا كانت شروخ الانقسامات العرقية في أميركا يمكن أن تلتئم. كما نتساءل ما إذا كان الأميركيون الأفارقة يشعرون بأنهم مستهدفون ظلمًا من قبل أفراد الشرطة، وما إذا كانت أقسام الشرطة تشعر بأنه قد افتري عليها ظلمًا بسبب أداء واجبها، وما إذا كان من الممكن في أي وقت من الأوقات أن يفهم كل منهم تجربة الآخر. إننا نفتح التلفزيون أو نتصفح الإنترنت، ونشاهد تصلب المواقف والخطوط المرسومة، وتراجع الناس إلى الزوايا الخاصة بكل منهم، ونشاهد الساسة يحسبون كيفية جذب الانتباه أو تجنب التداعيات. ونحن حين نرى كل هذا، يكون من الصعب علينا ألا نخشى من أن وجهات النظر المعتدلة لن تتمكن من الصمود، وأن الأمور قد تزداد سوءا.

إنني أفهم. أفهم ما يشعر به الأميركيون. ولكن، يا أبناء دالاس، إنني هنا لأقول لكم إننا يجب أن نرفض هذا اليأس. وقد أتيتُ إلى هنا لأؤكد على أننا لسنا منقسمين كما يبدو الأمر. وإنني أعلم ذلك لأنني أعرف أميركا. إنني أعرف الشوط الذي قطعناه رغم الصعاب المستحيلة. (تصفيق). وإنني أعلم أننا سنبلغ هدفنا نظرًا لما خبرته في حياتي الخاصة، إن ما قد رأيته من هذا البلد وشعبه– جودكم ولياقتكم– كرئيس للولايات

المتحدة. وإنني أعلم ذلك بسبب ما رأيناه هنا في دالاس– كيف أنكم جميعًا، قد أظهرتم لنا، من المعاناة الجسيمة، معنى الصلابة، وقوة الشخصية، والأمل.

* * * *

والآن، بما اكتسبته من خبرة. ولقد تحدثت في عدد كبير جدًا من مراسم ومناسبات التأبين خلال فترة رئاستي هذه. ولقد عانقت العديد من الأسر التي فقدت أحد أفرادها جراء أعمال العنف التي لا مبرر لها. ولقد رأيت كيف أن روح الوحدة، التي تولد من المأساة، يمكن أن تتلاشى تدريجيًا مرة أخرى، وتطغي عليها عودة الأمور إلى ما كانت عليه، التراخي، والعادات القديمة، والتذرع بأي شيء. أرى كيف أننا ننزلق بسهولة إلى الوراء إلى مفاهيمنا القديمة، لأنها مريحة، وقد اعتدنا عليها. وقد رأيت كيف يمكن أن تكون الكلمات وحدها سببًا في إحداث تغيير دائم. ولقد رأيت كيف أن كلماتي أنا لم تكن كافية. وهكذا فإنني أتذكر فقرة في * إنجيل يوحنا [يوحنا الأول]: فلنحبّ، ليس بالكلمات أو الأقوال، إنما بالأفعال وبالحقيقة. فإذا ما أردنا الحفاظ على الوحدة التي نحتاج إليها للتغلب على هذه الأوقات العصيبة، وإذا ما أردنا تكريم هؤلاء الضباط الخمسة البارزين الذين فقدناهم، عندها لا بد أن نعمل طبقًا للحقائق التي نعرفها. وهذا الأمر ليس سهلا. إنه يجعلنا نشعر بعدم الارتياح. ولكن يتعين علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا، ومع الآخرين.

* * * *

إننا نعلم كذلك أن التمييز العنصري طوال قرون، وكذلك الاستعباد والقهر، وتبعات قانون جيم كرو (الذي طبق الفصل العنصري في الولايات الجنوبية حتى العام 1965) –هذه الأمور لم تتبدد بنهاية الفصل العنصري من الناحية القانونية. وهي لم تتوقف حينما ألقى الدكتور كينغ خطابه، أو مع التوقيع على قانون حقوق التصويت وقانون الحقوق المدنية. لقد تحسنت العلاقات بين الأعراق تحسنًا كبيرًا خلال حياتي. والذين ينكرون ذلك إنما لايحترمون معارك النضال التي ساعدتنا في تحقيق كل ذلك التقدم. (تصفيق)

لكننا نعرف، وأميركا تعرف، أن ذلك التحيز ما زال مستمرًا. نحن نعرف هذا. وسواء كنت تتحدر من البيض، أو السود، أو الهسبان (اللاتين)، أو الآسيويين، أو الشرق أوسطيين، كلنا شهدنا هذا التعصب الأعمى في زمن ما من حياتنا. وقد سمعناه أحيانًا في بيوتنا بالتحديد. وإذا كنا صادقين مع أنفسنا، فربما سمعنا هذا

التحيز يتردد داخل أذهاننا، وشعرت به قلوبنا. نحن نعرف هذا. وفي حين قد يعاني البعض تحت وطأة العنصرية، فإن البعض الآخر يشعر بدرجة أكبر بكثير، بلدغة التمييز. ورغم أن غالبيتنا تفعل كل ما في وسعها للوقاية من ذلك، ونعلّم أولادنا أن يكونوا أفضل، فإنه لا يوجد شخص بيننا بريء منها براءة تامة. ولا توجد مؤسسة محصنة ضدها تماما. وتلك المؤسسات تشمل أقسام شرطتنا، ونحن نعرف هذه الحقيقة.

وهكذا، حينما يعبر أميركيون من أصول أفريقية من جميع ضروب الحياة ومن مختلف التجمعات في بلادنا عن يأسهم المتنامي مما يشعرون بأنه تمييز في المعاملة وعدم المساواة، وحينما تبين دراسة تلو دراسة أن السكان البيض والسكان الملونين يعَاملون أمام نظام القضاء الجنائي بصورة متباينة بحيث إنه إذا كنت من السود، فمن المحتمل بدرجة أكبر أن توقف، وتفتش، أو تعتقل، ويرجح بدرجة أكبر أن تنزل بك عقوبات سجن أطول، أو تنال عقوبة الإعدام للجريمة نفسها. وحينما يربي أولياء الأمور، آباء وأمهات، أبناءهم بصورة صحيحة ويتحدثون إليهم حول كيفية الرد في حال أوقفك ضابط شرطة، والرد بـ"نعم سيدي، ولا سيدي" لكنهم ما زالوا يخافون أن شيئًا رهيبًا قد يحدث حينما يغادر ابنهم المنزل، ويخشون من أن الأبناء الذين يعانون من نقص في الذكاء أو لا يفعلون الأمور الصحيحة أن ينتهي بهم المطاف بالوقوع في مأساة-- حينما يجري كل ذلك بعد انقضاء 50 عامًا على صدور قانون الحقوق المدنية فإنه لا يمكننا أن ندير ظهورنا وأن نستخف بأولئك الذين يتظاهرون سلميًا، ونصفهم بأنهم مشاغبون أو مجانين. (تصفيق) ولا يمكننا أن نستخف بها ونتعامل معها كأنها صورة من صور اللياقة السياسية أو العنصرية المعاكسة. وأن تنكر تجربتك بهذا الشكل أو يستخف بك أولئك الذين في السلطة، وحتى أصدقاؤك البيض، وزملاؤك في العمل، وأعضاء كنيستك مرة تلو المرة تلو المرة – هذا مؤلم. وبالتأكيد يمكننا جميعًا أن نلاحظ ذلك.

* * * *

وفي النهاية، فإن الأمر لا يتعلق باتباع سياسات فعالة، إنما بتشكيل إجماع، ومحاربة التشاؤم، وإيجاد الإرادة لتحقيق التغيير.

هل بمقدورنا أن نفعل ذلك؟ هل يمكننا أن نجد الشخصية كأميركيين لفتح قلوبنا لبعضنا البعض. هل نستطيع أن يجد كل منا في الآخر إنسانية مشتركة وكرامة متبادلة؟ وأن نعترف كيف رسمت شخصياتنا تجاربنا المختلفة؟ إن هذا لا يجعل أي شخص خيّرًا تمامًا أو سيئًا تمامًا. إنما يجعلنا مجرد بشر. لا أدري. وإنني أعترف بأنني أحيانًا يساورني الشك. لقد حضرت الكثير جدًا من هذه المناسبات وقابلت العديد من الأسر

التي مرت بتجارب كهذه. لكنني أذكر ما قاله الرب للنبي حزقيال: سأمنحك قلبًا جديدًا وأنفخ فيك روحًا جديدة. وسأنتزع منك قلبك الحجر، وأمنحك قلبًا من لحم ودم.

هذا ما يجب أن يصلي ويدعو من أجله، كل منا: قلب جديد. ليس قلبًا من حجر، إنما قلب مفتوح أمام كل المخاوف والآمال والمصاعب لدى إخواننا المواطنين. هذا ما شهدناه في دالاس خلال الأيام القليلة الماضية. وهذا ما يتعين علينا أن نحافظ عليه.

* * * *

إن أميركا لا تطالبنا بأن نتصف بالكمال. وبالتحديد بسبب عيوبنا الفردية، فقد أعطانا آباؤنا المؤسّسون مؤسّسات للوقاية ضد الاستبداد، وضمان أن أحدًا لن يكون فوق القانون، وديمقراطية تمنحنا فسحة للعمل والتعاون رغم خلافاتنا، ومناقشتها بصورة سلمية بهدف جعل الأمور أحسن، حتى لو لم يتم ذلك بالسرعة التي ننشدها. إن أميركا تمنحنا القدرة على التغيير.